مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية
Eissn : …-….. Issn : 2353-043X
المجلد 03/ العـدد 02: (2016)، ص 55- 77

صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي: منطلقات فكرية.

الأستاذ: بن عيشة عبد الكريم
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم- الجزائر.

ملخص :

لقد ظلّت الصورة اهتمام الكثير من الباحثين في حقل الإعلام والاتصال، ولعلَ مجال الصورة هنا يتخذ أبعادا عدَة، وعلى هذا الأساس يمكننا تسليط الضوء على صورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية، ومن هنا يبدو جلياً نوع هذه الصورة وطبيعتها من خلال التصوَرات التاريخية لوسائل الإعلام الغربية بالنسبة لموضوع الإسلام والمسلمين، وذلك تبعاً للأحداث والقضايا المحيطة؛ وقد حاولنا في هذا السياق أن نتعرض لصورة الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام المختلفة بداية من دور كل وسيلة حسب مرحلتها الخاصة.

كما حاولنا من خلال هذه القراءة المتواضعة تسليط الضوء على الصورة التي تقدّمها تلك الوسائل من خلال المضامين المتداولة سواء تعلق الأمر بالإسلام كدين، أو بتصرفات المسلمين وممارساتهم الدينية في العالم العربي الإسلامي أو بالنسبة للجاليات المسلمة في الغرب.

الكلمات المفتاحية:

الصورة، الإسلام والمسلمين، وسائل الاتصال الغربية، الإعلام الغربي.

Résumé:

L'image a fait l'objet de plusieurs recherches dans le domaine de l'information et de la communication. A ce niveau, le domaine de l'image prend plusieurs dimensions, à savoir l'image de l'Islam et des musulmans dans les médias occidentaux. Dans ce contexte,la nature de cette image est évidente à travers les perceptions historiques des médias occidentaux quant au thème de l'Islam et les musulmans, en fonction des événements et des questions en cours.Nous avons essayé dans ce contexte d'exposer l'image de l'Islam et des musulmans dans les différents médias, selon le rôle de chaque média.

En outre, nous avons aussi essayé à travers cet article de mettre la lumière sur l'image fournie par ces moyens de l'information et de la

communication à travers les contenus diffusésquant à la question de l'islam comme religion, ou aux actions et pratiques religieuses musulmanes dans le monde arabo-musulmanoudes communautés musulmanes en Occident.

Mots-clés : image- islam-musulmans-médias occidentaux-

مقدمة.

إنَ وسائل الاتصال والإعلام على اختلاف أنواعها هي إحدى الوسائل الرئيسية في ترسيخ ثقافة أو نشر أفكار أو التعريف بإيديولوجية معيَنة، سواء بإظهارها في طابع سلبي يؤدي إلى معاداتها والوقوف في وجهها،أو في طابع إيجابي يجسد تبنيها ومعايشتها، بحيث يعتبر الإعلام الغربي عموماً أحد مكونات هذه الحلقة في معالجته لأهم القضايا والأحداث المحلية والدولية، ولعلَ صورة الإسلام والمسلمين هي مجال من مجالات اهتمامه، كما يشير الكثير من الباحثين حول هذه المسألة بالتطرَق إلى كيفيات المعالجة لهذا الموضوع، بل إنَ تلك الصورة يغلب عليها الطابع السلبي في الكثير من الأحيان، كما يشير البعض إلى أنَ الإعلام الغربي لم يجسد الصورة السلبية للإسلام بدليل اتخاذها منحيين رئيسيين في ذلك، إمَا عن طريق إعادة النظر في ما تبثه حول المسلمين من صور سلبية بالاعتذار عما بدر منها من جهة، أو المسارعة في نزع تلك الأفكار والمعلومات المغلوطة عن الإسلام والاعتماد على عنصر الرقابة الإعلامية في عملية النشر الإعلامي لأخبارها من جهة أخرى، آخذة بعين الاعتبار مبدأ حرية الممارسات الدينية لكل فرد، والتعايش الذي صار عنصراً رئيسياً بين مختلف العقائد الدينية للشعوب، وهو الأمر الذي تجسَد في الدول الغربية،من خلال إعادة النظر مستقبلاً في نوع الأفكار والأخبار والمعلومات التي تبثها، مقدسة بذلك مبدأ عدم التجريح في عقائد الفرد الخاصة وتوجهه الديني الخاص به، وهو ما يمكن أن نستشف من خلاله عملية تجسده في أرض الواقع، انطلاقاً من ما قدَمته الدول الغربية من ضمانات في وسائلها الإعلامية،وأبرز دليل على ذلك "ما قام به رئيس الوزراء الدانماركي عندما أدان في خطابه السنوي بمناسبة العام الميلادي الجديد، أي تصريح أو عمل أو تعبير عن رأي، يُقصد به تشويه صورة مجموعة من الناس بناءً على انتمائهم الديني أو العرقي وخاصة الإسلام،ولم تقف عند هذا الحد، بل عملت على ترسيخ فكرة التعايش والاندماج بين مختلف الأجناس البشرية وروجت لاحترام عقائد الأفراد وتوجههم الإيديولوجي من منطلق الحريات الفردية،وهو ما دعي إليه وزير الخارجية الفرنسي "آلان جوبيه" من خلال دعوته إلى حوار مع الحركات الإسلامية في

العالم العربي التي تنبذ العنف وتقبل بقواعد الديمقراطية، ولعلَ هذا الأمر يتضح من خلال تشديد اللهجة من طرف الاتحاد الأوروبي في عمومه على تجنب التصريحات التي تحمل طابع التهجَم على الإسلام كدين، جسَده رؤساء الدول بتحميل كامل المسؤولية لكل من يتعرض لحريات الأفراد في وسائل الإعلام المختلفة،إضافة إلى كل هذا تجدر الإشارة إلى البرنامج الوثائقي الذي قدمه التلفزيون الألماني والذي يعترف فيه الغرب بإنجازات الحضارة الإسلامية وتطوراتها المختلفة وبسرقتهم للعلوم الإسلامية[1].

بناءً على هذه المعطيات الأولية تجعلنا نسلط الضوء في حديثنا عن المعطيات القاعدية والحقيقة في نفس الوقت في عملية بناء الصورة للإسلام والمسلمين من طرف وسائل الإعلام الغربية بشتى أنواعها، ممَا قد يظهر لنا دور الإعلام الغربي في بناء تلك الصورة وما مدى نفيه أو إثباته لتلك المعطيات.

أولاً: صورة الإسلام والمسلمين في الكتب المدرسية والقصص والرسومات الكاريكاتورية:

إنَ زرع الأفكار المغلوطة في أذهان النشء جريمة أخلاقية بالمعنى القانوني، وتتفاوت خطورة هذا النوع من الجرم حسب اعتبارات مختلفة،فالفارق مثلاً كبير بين الخطأ الناجم عن قلة المعلومات وندرة المصادر والخطأ المتعمَد الذي يراد من ورائه تحقيق هدف ما، أو الوصول إلى غاية بعينها لا يمكن بلوغها إلاَ بذلك، وقد أثبتت الدراسات أنَ الكتب المدرسية في المدارس الأمريكية والأوربية مملوءة بالأغلاط التي تساهم في زرع الكراهية والحقد في نفوس الأطفال.

ولقد أجريت دراسات عديدة للبحث في الصورة التي يتم بها وصف العرب والمسلمين في الكتب المدرسية بالولايات المتحدة الأمريكية، "ففي سنة 1973م شكَلت رابطة دراسات الشرق الأوسط لجنة لدراسة صورة الشرق الأوسط في الكتب المدرسية للمرحلة الإعدادية،وقد أسفرت النتائج أنَ غالبية الكتب المدرسية أخطأت في مواضيع كثيرة، وأنَها تكرر الصورة النمطيَة الموروثة عن الإسلام والمسلمين وتعمل على استمرارها،وفي سنة 1974م أجريت دراسة أخرى على 36 كتاباً مدرسياً للمرحلة الابتدائية والثانوية بولاية كاليفورنيا في حقل العلوم الاجتماعية، وقد أثبتت هذه الدراسة أنَ البؤرة المركزية لتلك الكتب كانت مسلَطة على تصوير الشرق الأوسط على أنَه (مجتمع عربي بربري يرتبط بالصحراء والبدو، وأنَ ركوب الخيل والسلب والنهب والقتل ما هي إلاَ سمات موروثة من حياة البدو، وأنَ الإسلام المحمدي كما هي تسميته عند المستشرقين،

وأنَ موسى وعيسى هما من أنبياء الله، وأنَ محمداً راعي قوافل، وأنَ الإسلام انتشر في بلاد العرب بحد السيف)، حيث لا تزال العديد من الكتب المدرسية والأمريكية خاصة، تضع المرأة المسلمة في مكانة منحطَة، وتزعم أنَ القرآن جعل النساء عبيداً للرجال"[2].

كما نجد "دراسة أخرى "لبيري" عام 1975م عن الكتب المدرسية في المرحلة الثانوية،وكذا دراسة "جرار" عام 1975م عن كتب الدراسات الاجتماعية في المرحلة المتوسطة"[3]، وفي ذات السياق قام "اياد القزاز" بإجراء "دراسة موسعة من خلال عامي 1979م -1980م عن الكتب المدرسية التي يستخدمها المدرسون في تدريس تاريخ العالم لتلامذتهم في المرحلة الثانوية في ثلاث مناطق هي: ولاية كاليفورنيا، ونبراسكا، ومدينة واشنطن دي سي العاصمة،وقد توصَل الباحث إلى عدد من الملاحظات على هذه الكتب المدرسية يمكن الإشارة إليها فيما يلي:

1- كان التناول العام للإسلام في هذه الكتب مختصراً وقد أقتصر على ذكر أركان الإسلام ومبادئه الأساسية نبذة عن الدين الإسلامي، ولم ترادفها أية إشارة إلى إسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية كما أنَها تجاهلت انجازات الحضارة الإسلامية في مجالات العلوم والطب والفلسفة، ولم تشر أيضاً إلى تاريخ المسلمين في الأندلس الذي استمر لمدة 700سنة.

2- أشارت دراسة علمية عام 1957م عن الكتب المدرسية للمرحلة الابتدائية في أوهايو إلى أنَ هذه الكتب كانت تسمي الإسلام بالمحمدية، والتي توحي تصريحاً بأنَ المسلمين يضعون محمداً إلهاً في المرتبة الأولى.

3- احتوت بعض هذه الكتب على صور مزعومة للرسول محمد مع بعض التعليقات أو الشروحات عليها.

4-أولت الكتب المدرسية اهتماماً واسعاً للجانب الحربي في الإسلام، وتحدثت بإسهام عن الجهاد أو الحرب المقدسة، فوردت بعض العبارات منها:(بخلاف تعليمات المسيح فإنَ محمد كان يمتدح ما اسماه بالحرب المقدسة).

5-زعمت هذه الكتب أنَ المرأة في الإسلام مهضومة الحقوق، وقد أشارت بعض الكتب إلى (أنَ النساء لا يأكلون إلاَ ما تبقى من طعام الرجال والأبناء،وأنَ الأبناء يعلمون بأنَ أمهاتهم ما هن إلاَ خادمات لهم، وأنَ البنات لا يحسبن ضمن أولاد الأب)"[4]. ومن المغالطات التي وردت في الكتب المدرسية الفرنسية مثلاً في أنَها"نسبت القرآن إلى كلام محمد، والزعم بأنَ الإسلام ديانة توفيقية جاءت معظم تعاليمها من التقاليد والأعراف

المأخوذة من المسيحية واليهودية، وتصف كتب التاريخ التي تدرس في المدارس الفرنسية العرب بأنَهم لم يكونوا إلاَ غزاة غلاظاً متزمّتين ومتعصّبين،فرضوا دينهم بحدَ السيف، وأنَ الدول والشعوب التي قبلت باعتناق الإسلام، أنَما فعلت ذلك لكي لا تدفع الجزية الباهظة التي فرضها المسلمون على الذين لا يدخلون في دينهم،وأنَ هؤلاء الذين اعتنقوا الدين الإسلامي من غير العرب، كانوا أقلَ قيمة من المسلمين العرب الذين ناصروا الديانة الإسلامية على أساس العداء وخرجت منهم معظم حركات التمرد"[5].

إذن فمن الأساليب التي استعملها الاستشراق من خلال مجموع الكتابات والأعمال هو تبني تلك الصورة التي استخدم فيها الكتب المدرسية كأسلوب علمي في الإشارة إلى الإسلام والمسلمين، بحيث "شكل استراتيجية شاملة لتكوين الأنساق المعرفية والفكرية والقيم الغربية إزاء العرب والمسلمين،وتحول إلى سياسة تنشئة الأجيال المتعاقبة وفق تلك النظرة، ووجد في المناهج المدرسية المقررة على الطلاب في مراحل التعليم المختلفة وسيلة اتصالية فعالة لتشكيل وعي فعال للأجيال انطلاقًا من مفاهيمه"[6].

وفي ذات السياق يتساءل كل من "جوكينشلو" و"شيرلي" في كتابها "التربية الخاطئة للغرب"[7] حول الكيفية التي يشوَه بها الإعلام الغربي صورة الإسلام، حيث تبدأ فرضيتهم بأثر الصورة التاريخية التي تحكم العلاقات الغربية والإسلامية، وتحضرهم الإجابة في عدم الشَك في أنَ البشر يستخدمون الماضي انتقائياً لجعل أبعاد خاصة من الحاضر مفهومة ومعقولة؛ وإلى حدَ ما، فإنَ المواقف السياسية كلَها هي تفسيرات تاريخية، ولعلَ هذا ما أكَده "ابراهيم أبو حطَالة" نحو تزييف الثقافة التاريخية حيال المسلمين، كما أنَ الأوروبيين اعتبروا مفهوم التفوَق خاصيتهم، والذي أصبح أساس ثقافة الغرب الخاطئة منذ بروز تلك العلاقات والصراعات.

وفي هذا الإطار "فإنَ معظم الكتب المدرسية التي تتناول الحضارة الغربية لا تذكر شيئاً عن استيلاء البربر على اسبانيا، ولكنَها تشير إلى انتصار "شارل مارتيل" والإفرنج على العرب في معركة الأبراج عام 732م"[8].

ولقد تفحَصت بعض الدراسات التي أجريت خلال العقدين الأخرين من القرن العشرين طريقة التعريف عن العرب والمسلمين في الكتب المدرسية في أمريكا الشمالية وأوروبا، حيث قام "دي بيرك" بمراجعة عدد من الكتب المدرسية المعتمدة في الكليات لتعليم أديان العالم في بريطانيا، وبحث في الطرق المتبعة للتعريف بـ: محمَد، القرآن، المسلمين،

الإسلام، وتشير نتائج تحقيقاته إلى أنَ هذه الكتب مشكوك فيها إلى أبعد حدَ، ومرتكزة على روايات مظلَلة في الواقع، وغير دقيقة في بعض الحالات[9].

ويبرز لنا "مارلين نصر" في دراسته حول صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية سمتان سائدتان من مجموعة السمات التي تخص العرب من خلال تلك الكتب هي: " الماضوية، وتجنب العرب في زمن الحاضر"[10].

كما تسرد لنا "عزت عزت" مجموعة من الكتب والقصص الموجَهة إلى فئة الأطفال التي لم تسلم هي الأخرى، في هذا الشكل من الكتابات التي تحمل الإساء للعرب والمسلمين، وفي هذا الإطار نجد بما يعرف بـ "(الكتب المجسَمة) (Pop-Up Book)، والتي تتضمن القصص الدينية، وكذا سلسلة (قبس من نور) التي تتضمن أفكار تبشيرية، وسلسلة كتب (حقيبة طبيب الغاية) (Jungle Doctor's Case Book)، من تأليف "بول هوايت".

أمَا عن الكتب المدرسية فنجد كل من كتاب (رحلة الإنسان الناقصة) (Man's UnfimishedJournez) في أمريكا، وكذا كتاب (حضارات وشعوب) (People and culturs)، والكتاب المسمَى (العقل العربي في حاجة إلى فهم) لمؤلفه "جون لافين" الانجليزي، هذا وبالإضافة إلى عدة موسوعات ودوائر المعارف الخاصة بالأطفال التي تحمل صورة الإسلام والمسلمين، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر موسوعة الأطفال المسمَاة (تشارلز برونز سيكلوبيديا) ، وكذا أطلس الأطفال المصوَر والمسمَى (The Children's Picture Atlas)، إضافة إلى المجلات كمجلة (تان تان) (Les Advintures de Tintin) الفرنسية"[11].

ومن خصائص القصص الغربية الموجَهة ضد العرب والمسلمين، "هو الأداء بإنشاء الأسرار واختلاف الأحداث الخيالية وتغليفها بأسلوب قمعي، وربطها بأشخاص وأماكن معروفة للإيهام بأنَها حقائق، والسعي للتشكيك والوقيعة بين العرب، وكذا اللجوء إلى الرمز وتصوير الخيال والتنبؤ بالمستقبل، ومن بين هذه القصص نجد كل من قصة (ماش يذهب إلى تكساس) من تأليف "ريتشارد هوك" و"وليم تروث"، وكذا قصة (ضربة قاضية في البحرين) وهي قصة فرنسية بوليسية من تأليف "جوزيت بروس"، وكذلك قصة (دبي) من تأليف "روبن مور"، كما نجد قصة (بقشيش) من تأليف "ميشال كليرك" وترجمت إلى العربية باسم (فئران الأنابيب)، وقصة (الفارس المسافر)، وقصة "ورثة الملك" وهي قصص تاريخية، بالإضافة إلى قصة (جهاد)، وقصة (الواحة

المشؤومة) من تأليف "هاموند أنز"، وقصة (منزلق البترول) من سلسلة المدمَر من تأليف "ريتشارد مابير"و"واين مورفي""[12].

أمَا عن الرسومات الساخرة (الكاريكاتيرية) والتي تعتبر كأسلوب من أساليب الخطاب الاتصالي والإعلامي، والتي تقوم عادة على الإثارة والفكرة والإبداع، وهي فن قديم وإن أزدهر في هذا القرن، وقد أستخدم الرسم الساخر للترويج لأفكار وفلسفات وللتعبير عن مواقف وأحوال يصعب البوح بها بشكل مباشر لاعتبارات سياسية وأخرى اجتماعية، وفي العصر الحديث نال هذا الفن قدراً كبيراً من الاهتمام، فخصصت له مساحات ثابتة في الصحف والمجلات، بل حتىَ الكتب وشاشات التلفزة وشبكة المعلومات العالمية –الأنترنت- التي نشرت مواقع عليها، يمكن من خلالها الاطلاع على أحدث ما قدمته الصحافة العالمية من رسومات ساخرة نقدية، ولقد وجد دعاة الاسلاموفوبيا وسيلة مثيرة لتشويه الإسلام والمسلمين، وذلك من خلال أكاذيبهم في نشر الرسومات السخيفة، والتي يجمع بينها قاسم مشترك وهو تصوير العربي والمسلم (بلحية كبيرة وحواجب عريضة وأنف مقوس وبطن منتفخ ونظرات قاسية، وقد لف حول رأسه كوفية أو عقالاً، وربط في وسطه خنجراً أو مسدساً)"[13].

ولم تقتصر أيضاً تلك الرسومات لبعض الفترات فقط، وإنَما تماشت مع الأحداث العالمية، حيث نجد مرحلة الصحوة الإسلامية المعاصرة التي أخذت حيز كبيراً في الكاريكاتير الغربي والأمريكي على حدَ سواء، "فكانت هذه الظاهرة مرادفة للتخلف والعودة إلى أحداث عصر الكهوف ودعاتها هم عباد الموت يحكمهم العقل الميتافيزيقي الغيبي، أمَا بعد 11 سبتمبر2001، فأخذت الرسومات الساخرة أشكالاً سلبية مختلفة ،وبدأت تكشف عن الإيديولوجيا الكامنة وراءها في معاداة الإسلام لاسيما بعد غزو العراق حينما اتخذته منبراً للتبرير، ولم تعد المشكلة مشكلة البحث عن أسلحة الدمار الشامل بإنقاذ للإنسانية من الأصولية المتطرَفة، ولم تقف الاسلاموفوبيا الساخرة عند الاستخفاف بالعربي والمسلم، بل تعدَدت ذلك إلى النيل من شخص الرسول وتصويره إرهابياً، ذلك التصوير الذي أثار حفيظة العرب والمسلمين في جميع أنحاء العالم، ولم يقف توظيف الرسوم الساخرة عند حدَ الترويج للإيديولوجيا، بل وظَفت أيضا لترويع مناصري القضايا الإنسانية وتخويف المفكرين الأحرار بنعتهم بنعوت سلبية ووصمهم بالفاشية الإسلامية"[14].

أمَا "ليندمان" فكشف سنة 1983م في "دراسة له عن التشويش المتواصل للعرب في الرسوم الكاريكاتيرية التي يرسمها -هربلوك-في واشنطن بوست الأمريكية"[15]، حيث يقول ليندمان "أنَ رسومات هذا الرسام تتركز حول موضوعين رئيسيين هما المقاطعة العربية والضغوط التي تمارسها دول النفط على الولايات المتحدة الأمريكية، والتي يستجيب لها المسؤولون الأمريكيون، أمَا الموضوع الآخر فهو المشكل الفلسطيني، والإرهاب هنا ممثلاً في شخص "ياسر عرفات" في أغلب الأحيان، وقد قام "جورج دامون" في هذا الإطار بتحليل الرسومات الكاريكاتيرية التي ظهرت في صحف -نيويورك تايمز- و-بوسطن جلوب- و-كريستيان سانيسمونيتور- و-سان فرانسيسكو- و-كرونكال-، حيث أظهرت الدراسة أنَ الرسوم تثبت الاتجاه العدواني العنصري ضدَ العرب وتشوه سمعتهم، باعتبار أنَ أغلب رسامي الكاريكاتير يميلون إلى مهاجمة العرب، إمَا تصريحاً بالحطَ من مكانة زعمائهم، أو ضمنياً من خلال الصفات الرئيسة المنسوبة للعرب التي تتخلل هذه الرسوم من اعتداء وعناد وسخف وإرهاب، كما أنَ اتَهام العرب بأنَهم من الشيوعيين كان موضوعاً متواصلاً أيضاً في الرسم الكاريكاتوري"[16].

ومن هنا نكتشف بأنَ دور الكتب والقصص والرسومات الكاريكاتورية كان لها دوراً بارزاً في تكوين الصورة النمطيَة عن الإسلام والمسلمين، باعتباره أنَها تشكلَ العقل الواعي في الميدان الثقافي والفكري والسياسي وحتَى الإعلامي، كما تشكلَ وسيلة اتصالية تساهم في نقل التراث الاجتماعي والثقافي بنفس الصورة التي كانت سائدة تاريخياً خاصة ما تعلق بصورة الإسلام والمسلمين الراسخة في المخيَلة الغربية.

ثانيًا: صورة الإسلام والمسلمين في الصحافة المكتوبة:

تعتبر الصحافة المكتوبة كوسيلة إعلامية لها دور في تشكيل الرأي العام كونها مثَلت مرحلة واعية كأول وسيلة إعلامية (بمفهوم وسائل الاتصال الجماهيري) ظهرت في أوروبا من خلال "مراحلها المتزامنة وتطوَرها وتنوعها وانتشارها وتأثيراتها المختلفة"[17]، ولعلَ صورة الإسلام والمسلمين هي أحد مكونات هذه الصحافة في مضامينها ومحتوياتها المختلفة باتجاهاتها وتياراتها المتعدَدة، ولعلَ معرفة تلك الصورة في الصحافة الغربية قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر كحدث هام ومفصل رئيسي في العلاقات الدولية وفي الخطابات السياسية التي تتعلق بقضايا الإسلام والمسلمين في الغرب عموماً وفرنسا خصوصاً،يجعلنا نشير إلى شكل تطوَر الإساءة في الصحف الغربية عامة تبعاً لمجموع الأحداث، إذ أنَ كل مرحلة واكبتها أساليب تتناسب معها في أحداثها، وذلك

صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي: منطلقات فكرية.

لعرض بعض نماذج الإساءة للعرب والمسلمين قبل أحداث 11 من سبتمبر 2001. "ففي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، تعنى الصحافة الفرنسية أنَ الآخر والذي تقصد به الإسلام والعرب والمسلمين في هذا المقام من خلال تعرضهم للخلافات بين القيادات، خاصة في دول الخليج من منطلق المساس بالنظم العربية من طرف خفي، والسخرية منها في معرض لسرد الخبر، حيث يبدو هذا للعامة موضوعياً ومجرد تحليل إخباري. ومن هنا نجد ما كتبته مجلة لوبوان (Lepoint)فيم وصفته عن المملكة العربية السعودية بأنَها "القلعة المتهاوية"، كما تصف الوضع السياسي فيها بصورة توحي بأنَ الوضع على وشك الانهيار، نتيجة لتفشي الرشوة والفساد داخل مراكز الحكم والعائلة المالكة، وتوقع قيام الجيش بانقلاب عسكري على يد "فدائي عسكري"، وتشير المجلة بأنَ عملية مكة، وأحداث أفغانستان، وثورة إيران جعلت الرعب يسود بلدان الخليج"، كما نجد مجلة جين لافريك (June Afrique) الفرنسية، حيث تصف المرأة العربية فيما لا يليق في مقال مكثَف بالصور، من خلال وصف العالم المغلق للمرأة العربية، ناهيك عن بعض العناوين المسيئة للإسلام والمسلمين التي ساهمت في زرع الفتنة، منها مقال صدر في صحيفة باري ماتش (Paris Match) الذي يحمل الإساءة إلى أهل الخليج خاصة والعرب المسلمين عموماً،وفي وصف النساء المواطنات بالسخرية، وحب البدو والصحراء، وحياة البذخ والترف المتعلقة بعائدات البترول، وبشاعة المنظر،...وغيرها من المواصفات"[18].

حيث لا يمكننا في هذا السياق الحديث عن كل ما كتبته الصحف الغربية عن الإسلام والمسلمين بشكل قد يحمل الكثير، بحيث يجعلنا نشكَك في حقيقة الصورة التي لا طالما ارتبطت مهنياً للارتقاء بالعمل الإعلامي الأخلاقي والموضوعي والحيادي في نفس الوقت، وإن كانت الحيادية هنا مسألة أسطورية كما يشير"هربرتشيللر" [19] يتقاسمها الصحفيون أنفسهم، بداية من اعترافهم بمسألة الإنصاف والموضوعية مهنياً، ثمَ الأخطاء الإنسانية التي تقع على عاتقهم من خلال نشرهم للمعلومات، بالإضافة إلى المشاريع التجارية من خلال الإعلانات وغيرها...".

وعلى الأساس سنشير إلى بعض الدراسات العربية التي جاءت في هذا الإطار من خلال ما تناولته بعض الصحف الغربية وعلى رأسها الصحف الألمانية والأمريكية والبريطانية ثمَ الفرنسية.

- الدراسة الأولى قام بها الباحث"سامي مسلم" حول "صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية"[20]، حيث توصّل الباحث إلى أنّ هناك توازي وتطور لصورة العرب في الصحافة الألمانية الغربية حتّى نشوب حرب أكتوبر سنة 1963 مع تطور العلاقات بين جمهورية ألمانيا الاتحادية وإسرائيل من جهة، والعلاقات الألمانية الاتحادية والأقطار العربية من جهة أخرى، حيث تميّزت العلاقات مع العرب هنا بالسلبية خاصة مع مواقف الأطراف تجاه القضية الفلسطينية، كما تبنّت الصحافة الألمانية الاتحادية موقف حكومة ألمانيا الاتحادية، وقد نعتت إسرائيل ببعض المواصفات الإيجابية منها (البلد الصغير الشجاع المدافع عن وجوده ضدّ التهديد العربي، جيشها يحقق النصر، يمتلك أحسن تدريب، مسلّح بالتقنية الحديثة والمنضبط، المؤتمن أكثر، إسرائيل بلد الديمقراطية والبناء الصناعي)، كما صوّرت العرب بمواصفات سلبية منها (متأخرين، غير متطوّرين، جنوداً لم يكونوا شجعاناً...)، وأدانت المقاومة ضدّ الاحتلال الإسرائيلي، ووصفت المقاتل الفلسطيني بالإرهابي...الخ.

بالإضافة إلى عودتها إلى الصورة المقولبة القديمة التي تعكس الصورة التاريخية في علاقة الإسلام بالغرب، كما صنّفت الصحافة الألمانية الاتحادية القادة السياسيين العرب إلى محافظين ومتطرّفين (أي راديكاليين) حيث تفرّق بين "العربي المتطرّف" والعربي "المحافظ الواقعي"، بينما تضع قطباً سلبياً مقابل آخر إيجابي، وهي تضع الديكتاتور "عبد الناصر" أو "معمر القذافي" قبالة "الليبرالي الواقعي" كالسادات مثلاً، كما تقارن الرئيس "حافظ الأسد"بـ"البعثي المعتدل" وبـ"اليسارالدغماتي"، وتقارن "الملك فيصل"بـ"حامي التراث"بالنظام الجنوبي"النظام الماركسي"، و"الملك حسين"بـ"الملك الشجاع" الذي يواجه الفلسطينيين، حيث يقوم هذا التصنيف على أساس أدوراهم في السياسة الداخلية والخارجية.

- الدراسة الثانية قام بها الباحث "ميخائيل سليمان" حول "صورة العرب في الصحافة الأمريكية"[21]، حيث توصّل فيها إلى أنّ الصحافة الأمريكية تقدم صورة مشوّهة عن العرب من خلال بعض السمات، والتي تتمثّل في: "البداوة"، "انخفاض مستوى المعيشة والتعليم"، "المكانة الوضيعة للمرأة (الحريم)"، "الطباع الاستبدادية"، "القذارة"؛ في حين قدّمت الإسرائيليون بصورة إيجابية، تمثّلت في كونهم "ديمقراطيون"، ولهم نفس خصال وصفات الغربيين، وهذا ما يشير إلى تحيّز الصحافة الأمريكية لإسرائيل، كما تظهر الدراسة إلى تهميش دور العرب على مستوى الإسهامات في جميع المجالات وتجريدهم من

الوجود والإنسانية، بالإضافة إلى كونها تقدم الصورة السلبية والمشوَهة من خلال بعض النعوت والصفات والسمات السلبية مثل: (الأصوليَون، إرهابيَون، مقاتلون، ملعونون، قذرون، ...الخ).

- الدراسة الثالثة قام بها الباحث "خضر حلمي ساري" حول "صورة العرب في الصحافة البريطانية: دراسة اجتماعية للثبات والتغيَر في مجمل الصورة"[22]، حيث توصَل الباحث إلى أنَ الصحافة البريطانية كانت تغطيتها في صالح إسرائيل، كما كانت وبمختلف الطرق انتقائية للعرب، وتصم الوطن العربي وصمًا شائناً (Stignatising)في تناولها لمختلف القضايا، ورغم التباين في الطرح بالنسبة لمجموع الصحف البريطانية التي كانت محل الدراسة، إلاَ أنَها ركَزت على الأحداث الرئيسية في الشرق الأوسط ضمن الشق القيمي الاستعلائي الإنجليزي، كما أنَها عكست استمرارية الروح الاستشرافية وإعادة إنتاج الصورة التاريخية، كما أنَ التحليل العام للدراسة لا يقدَم دليلاً قوياً على أنَ الصحافة البريطانية قد أفسدتها ماكنة الدعاية الصهيونية، بقدر ما يبرز التماسك بين جميع الجرائد باستثناء جريدة "المورننغ ستار" في عرض بريطانيا وإسرائيل ضمن إطار المصالح الغربية في نزاع حتمي، مع السياسة السوفياتية، هذا وبالإضافة إلى أنَ الصحف البريطانية لم تقتصر فقط على إساءة عرض أخبار الوطن العربي، بل أنَها ساهمت في إبقاء شرائح كبيرة من قرائها على جهلهم وتخبطهم فيما يتعلق بالتطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمي، الذي يمر به عدد من الأقطار العربية في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين.

- الدراسة الرابعة قام بها الباحث "أحمد عظيمي"حول صعود الإسلام في الصحافة الدورية الفرنسية كان عنوانها بالفرنسية " La Montée de l'islamisme à travers la presse périodique Française de 1978 à 1994"[23].حيث توصَل الباحث إلى أنَ تلك الدوريات تتحدث عن بعض الزعماء في عناوينها وإيضاحها أكثر من معارضيهم، وذلك من خلال عرض قدرتهم في التأثير على الحشود الجماهيرية، وهذا ما يوضح بأنَ الصحافة الفرنسية خدمت بطريقة أو بأخرى الإسلاميين في عرضهم الواجهة، كما أشارت إلى أنَ الإسلامية هي ضدَ لكل ما هو غربي،وبأنَها حركة كبيرة تهدف إلى ضرب الاستقرار، وهي تمتد من باكستان إلى الجزائر، وهذه الحركة تعلن عزمها عن تخريب الغرب.، وذلك من خلال استخدمها لأساليب في إقامة الحجج لتبيَن الموقف المضاد للفرنسي الذي يكَنه الإسلاميون لفرنسا، في حين قدَمت الدوريات الصراع الجزائري بأنَه

صراع بين الإسلاميين والفرنكوفونيين، كما استندت إلى بعض المصطلحات "كالخوف، الصراع، حرب،...الخ"، كما تستخدم تلك الدوريات بعض الأساليب في استدلالها على النمط الذي تقدَم يه تلك الأحداث، حيث تتضح هذه الأساليب في: عملية التشابه والتماثل بين الشخصيات من خلال الاقتباس من التاريخ، عملية الاستنتاج والاستنباط بتقديم الإيحاءات والأحكام المسبقة، أسلوب الأطروحة المضادة بواسطة ثنائيات التضاد حول كل المواضيع التي تعارضها، أسلوب الطابع المسرحي من خلال التمثيل الدرامي لتلك الوقائع والأحداث وعملية التبسيط والتسطيح لمظاهر الإسلاميين وأماكنهم.

ثالثًا: صورة الإسلام والمسلمين في التلفزيون والسينما:

تتمتع وسائل الاتصال المرئية وخصوصاً التلفزيون بقدرة فائقة على التأثير، فتجسَد الحدث أو الفكرة وتستقطب حاستي السمع والبصر، وللتلفزيون بشكل خاص مكانة بارزة في مجال التأثير الاجتماعي في الغرب، وقد أصبح هذا الأخير موجَها في المجتمعات الغربية للرأي والسلوك، ويقول "جورج جيرينز" بهذا الصدد "إنَ التلفزيون يقوم حالياً أكثر من أي مؤسسة ثقافية أخرى بتشكيل المعايير والقيم السلوكية، وكلَما ازدادت مشاهدتنا للتلفزيون كلما زادت معتقداتنا المتأثرة بما يقوله عن العالم الخارجي، على الرغم من أنَ معظم ما يعرض هو محض افتراء أو تضليل إعلامي دعائي"[24].

فمنذ أن حكم اليهود قبضتهم على المؤسسات الإعلامية في العالم وأمريكا على وجه الخصوص، وصورة العربي والمسلم لم تتغير، تلك الصورة التي أمعن في تشويهها ذلك الإعلام على مدى قرن من الزمن، ولعلَ ما يبرر هذا الحكم هي الدراسة التي أعدها البروفيسور "جاك شاهين" عن الإفساد الذي أحدثته هوليود في حق العرب والمسلمين إدانة حقيقة لتلك المؤسسات، خاصة مع كتابه الأخير الذي يحمل عنوان "العربي الشرير أو كيف شوهت هوليود شعباً"، حيث وضَح الكتاب "وظيفة وسائل الإعلام في رسم الصورة المشوَهة لأمم وشعوب من أجل تحقيق مآرب سياسية ودينية، وكذا الدور الصحيح المنوط للمؤسسات الإعلامية التي تزعم أنَها تنتمي لشعوب العالم، ويقول شاهين في كتابه "عرب التلفزيون": "أن تكون عربياً فإنَك عرضة للازدراء والسخرية في التلفزيون تحت معنى الاستماع، وأرى الصورة المعادية للعرب تكشف عن نفسها في السياسة الأمريكية، وبالرغم من أنَ أكثر العرب يعيشون في مدن بعيدة عن الصحراء كالرباط والجزائر وتونس وطرابلس والقاهرة ودمشق وبيروت والقدس وبغداد، إلاَ أنَ

صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي: منطلقات فكرية.

الصورة التي رسختها مؤسسات الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزيون، تظهر العرب بدواً همجاً يعيشون في قلب الصحراء، حيث الرمال المترامية الأطراف، وحيث الإبل والخيام، ومن عجيب أثر التشويه على الساسة، أنَ السواد الأعظم من الأمريكيين يظنَون أنَ منظمة أوبك العالمية لتصدير النفط منظمة عربية يقودها شيوخ النفط العرب، بالرغم من أنَ ستة فقط من ثلاثة عشر عضواً من أعضاء المنظمة هم من العرب"[25].

ولقد اكتشف صناع الإسلاموفوبيا في أمريكا والغرب أهمية توظيف المؤسسات الإعلامية لاسيما السينما التي تلعب الدور الأكبر في تشكيل ثقافة الإنسان المعاصر الذي يعزف عن القراءة والبحث بسبب تعقد الحياة، وتفاقم مشاكل العيش ولذا عمل اليهود على اختراع هوليود، ويبَن كاتب يهودي "هوليلغابلر" في دراسة له صدرت عام 1988 بعنوان "الإمبراطورية التي تخصهم –كيف ابتدع اليهود هوليود"، في "أنَ اليهود أسسوا جميع الاستوديوهات الأمريكية السينمائية الكبرى، بما فيها صناعة السينما الأمريكية متمثلة في كبرى الشركات العالمية، وقد تأسست هوليود عقب الحرب العالمية الأولى وقام بإدارتها يهود من أوربا الشرقية، ثمَ لم تلبث أن غزاها كتاب يهود معظمهم شرقيون، ويقول "مورمان كانتور" في دراسة له صادرة عام 1994م عن جامعة نيويورك تحت عنوان "السلسلة المقدسة، تاريخ اليهود"، أنَ إنتاج الأفلام وتوزيعها في هوليود كان في الخميس من السنة الأولى من تأسيسها، وظلَت السيطرة على مستوى القمة في هوليود لليهود، وفي أوائل التسعينات من القرن العشرين سقط آخر معقل في هوليود كان يديره اليهود وهو أستوديو "ديزني"، وظلت هوليود على مدار حقبة طويلة من الزمن قد تصل إلى ثلاثة أرباع القرن تعمل بدأب على تشويه صورة العرب والمسلمين وتصويرهم بأنَهم "برابرة، همج رعاع، خونة قذرون، جبناء"، وأنَ اليهود أكثر تمدناً وتسامحاً وشجاعة، ذلك التقابل الذي يسميه مؤرخو السينما أفلام الطيب والخبيث، وفي الستينات وحدها نجد على الأقل أكبر عشرة أفلام أنتجت لعب أدوار البطولة فيها الأمريكيون اليهود مثل - بول نيومان- توني كورتيز-كيرك دوغلاس- وآخرين كثر، أمَا دور العربي فيلعبه عادة ممثلون –كومبارس- من الدرجة الثالثة والرابعة، ويستحسن أن يكون قبيح المنظر لا يتعاطف معه الجمهور وفي أحسن الأحوال يؤتى بهم من أمريكا اللاتينية وإسبانيا وجنوب ايطاليا من تشبه ملامحهم ملامح العرب مع عدد قليل من العرب الذين لا يلعبون دوراً رئيسياً في الشريط، وإنَما يشكلون عادة خلفية للمشاهدة السينمائية كانت

تغطي محتويات الأفلام المسيئة للعرب والمسلمين على مدار المائة عام الماضية، وقد تتبعها جميعاً شاهين في دراسته والتي حذَرت هذه الأخيرة الخوف من الإسلام، وذلك يعود لكثرتها حتَّى بلغت رقماً قياسياً معيَناً"[26]، كما أشار شاهين في إحدى الدراسات التي أجريت لحوالي (1000) فيلم سينمائي من إنتاج الصناعة الهوليودية، أنَها تبث الصورة النمطيَة للعرب والمسلمين بأنَهم "(يثيرون البغض، أشرار، وحوش، فاسقون، يعشون في الصحراء أو الحديقة المشؤومة)، كما جاء ذلك في فيلم (sahara)، وأضاف أنَ حوالي (300) ألف فيلم بنسبة 25% تعكس صورة العرب النمطيَة والتي اختصرت كمصدر للفكاهة الرخيص، واستعمال الصور الخرافية التي تعزَز السياسة كما تعزز السياسة تلك الصور، ويقول "جاك فلونتي" (Jack Valenti) وهو رئيس شركة أمريكية تدعى (Motion Picture Assosiation of America) "أنَ واشنطن وهوليود تنبعان من المصدر ذاته، حيث أخذت الأفلام السينمائية أشكالاً عدة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية حينما تغيرت صورة العرب، وذلك لثلاثة عوامل أساسية، منها الصراع العربي الإسرائيلي، وحصار النفط العربي في السبعينيات بموجب ارتفاع أسعار النفط، والثورة الإيرانية، كل هذه العوامل ساهمت في قلب الموازين والتأثير على العلاقات مع أمريكا، وبدأت السياسة الهوليودية تتركز على أنماط أخرى كالسياسة العنصرية والإرهاب، حتَى أصبحت المرأة العربية تمثل على أنَها إرهابية وعنيفة، كما جاء ذلك في فيلم الأحد الأسود (Black Sunday)، إضافة إلى سياسة الترفيه باستعمالها في القوالب الكوميدية وغيرها"[27].

فهناك الكثير من المواصفات والخصائص التي أتَسم بها العربي المسلم في التلفزيونات والسينما الغربية، بحيث نجد من أهمها هو تمجيد الرجل الغربي، في مقابل تمسيخ الرجل العربي، فحينما كان المجد للقوة الجسدية كانت أفلام "طرزان" والشخصية هي صورة الرجل الغربي، في مقابل الأفارقة المتخلَفين، وحينما تطوَرت النظرة إلى المجد إلى الفروسية والعراك كان التركيز على أفلام "رعاة البقر" في مقابل الهنود الحمر، وحينما أصبح المجد للذكاء والعقل، أصبح الرجل الغربي هو العالم والفكر، ورجل الشرطة الذكيَ، والقائد والسياسي المحنك، في مقابل العرب المتخلَفين عن كل ذلك، واستمرار في المبالغة، أصبح الخيال والأفلام العلمية المستقبلية أو الخيالية، هي آخر صراعات السينما العالمية، حيث أصبح الرجل الخارق والمرأة الخارقة، هما نموذج الشخصية الغربية في مقابل ما يرسم للشخصية العربية في ملامح مسيئة[28]، ولعلَ تلك القراءات

صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي: منطلقات فكرية.

المتعدَدة لهذه الصورة تجعلنا نشير إلى بعض الكتابات لمفكرين غربيين، ناهضوا ظاهرة الإسلاموفوبيا (الخوف من الإسلام) بالكشف عن آليات وفضح أدواتها، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر "نعوم شومسكي" (Noam Chomsky)، و"جون إسبورزيتو" (JohmEspisito)، و"جاك شاهين" (Jack Shaheen) وغيرهم، ففي كتاب "سيطرة الإعلام: الانجازات المثيرة للدعاية"لشومسكي، الذي أبرز فيه "خطورة وسائل الإعلام في توجيه الرأي العام، ونبَه إلى خطورة هيمنة الدولة على مؤسسات الإعلام التي ما انفكت تروج لأباطيل خدمة لسياسات ثلة من المسؤولين داخل مؤسسات الغرب وأهدافهم، أمَا إسبوزيتو فقد أصدر كتاباً عام 1999م تحت عنوان"التهديد الإسلامي: أسطورة أم حقيقة" في مرحلة تعالت فيها الأصوات المعادية للإسلام، ويعد من أهم الكتب التي صدرت في نهاية القرن العشرين، خاصة وأنَه تزامن تقريباً مع فترة صدور نظرية صدام الحضارات لـ"صموائيل هنتجغتون"، ولكونه أيضاً يمثل خطاباً معتدلاً يعتمد على منهجية موضوعية بعيدة عن التشنج والاستعداء، وقد أوضح صاحبه أنَ تصاعد المخاوف من الإسلام تزامن مع انتهاء الحرب الباردة بخصوص الفراغ الذي نتج عن انهيار المعسكر الشيوعي، فأصبحت الأنظار متوجهة للبحث عن عدو جديد تنشغل به العقول والمؤسسات لأمد إلى حين انتهاء الأمريكيين من إعادة تشكيل العالم"[29].

إذن فدور التلفزيون والسينما باعتبارها مؤسسات إعلامية ثقيلة لها دور في تكوين الرأي العام وتوجيهه، ولعلَ هذا الأخير هو الذي يمثَل السلطة بالنسبة لتلك الوسائل، وهناك من يشير إلى أنَ "مفهوم (السلطة الجيو تلفزيونية) قد تحدَدت ملامحها أساساً مع إعلان الحرب على أفغانستان إلى بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، ولقد برز مع عشرية الثمانينيات وبشكل واضح ما أسماه "جون بول سارتر"بـ"مهنيو المعرفة العملية"، ولعلَ القائمون بالاتصال من هذا الصنف، حيث كشف "ميشيل كروزي" (Michel Grosier) عن ضعن الديمقراطية الأوروبية الغربية، وكيل الاتهام هنا للمثقَفين باعتبارهم "زارعين للفوضى"، ولقد أدى انكماش المتفاقم للوعي النقدي إلى تصالح نخبة المثقَفين التقليديين مع حال واقع وسائل الإعلام، ممَا يبدو أنَ الشيء الوحيد هو الالتباس (L'ambiguïté)، ويضيف عبد الوهاب الرامي قائلاً: "إنَنا نضحى أمام خلل وظيفي (Dysfonctionnement) لمهمة رجل الإعلام إذ يتحول دوره من إعلام الجمهور العريض إعلاماً نزيها إلى السعي في تشكيل رأي عام مساند لقضايا يحدَدها صانعوا القرار"[30]. بحيث لا يتوقف الأمر هنا في ما يتعلق بدور وسائل الإعلام وعلى رأسها التلفزيون

والسينما، بل "لا يمكن لحوار الحضارات في ظلَ الاعتبار الجديد لوسائل الإعلام أن يستتب إذا ظلَت مقولات الحق في الإعلام، وأخلاقيات المهنة والحرية والمهنية مغيَبة، تصبح معها وسائل الإعلام، وخاصة منها التلفزيون كأدوات لوجستية مشروعة تخدم مصالح الأطراف المتصارعة لا الحقيقة"[31].

ويقول إلياس إدريس في هذا الصدد في مقال له[32] على أنَ كل شيء أصبح قابل للبيع، بحيث كل الإذاعات والتلفزيونات تسرع لنقل حرب بيروت والكوارث الطبيعية وموتى فلسطين، مادامت هذه الموضوعات مضمونة تجارياً، ويعتبر الكاتب هنا أنَ الأساسي حالياً ليس الأخبار الموضوعية عن أحداث هذه البلدان، بل الاكتفاء بإعطاء صورة سريعة عنها قبل الانتقال إلى ميدان الرياضة والتسلية والمنوعات، كل ذلك بطريقة واحدة، لا تتغير، لا مبالية، بيضاء النبرة، ولعلَ هذه هي طبيعة التلفزيون المرضية.

حيث لم تعد السينما والتلفزيون تمثَل الصورة النمطيَة للإسلام والمسلمين في مجرد الأفلام الهوليودية، وإنَما شملت القنوات الفضائية الأخرى المحلية منها والدولية من خلال مجموع برامجها الإخبارية والحوارية"[33]، ومن هنا يبقى دور التلفزيون والسنيما يشهد لهما لمعطيات الصورة والصوت وفي نقل الواقع وتمثيله، حيث لا تخلو أيضاً تلك المعالجة الإعلامية من خلال هذين الوسيلتين من تجسيد صورة الإسلام والمسلمين بالطريقة التي تخدم مصالح مؤسساتهما.

رابعًا: صورة الإسلام والمسلمين في القنوات الفضائية:

يبدو دور القنوات الفضائية الدولية واضحاً في مجال الصورة الذهنية والنمطيَة عن القضايا التي تخص الشأن العربي والإسلامي عموماً، بحيث هناك بعض النتائج تشير إلى "أنَ نسبة المشاهدة للقنوات الفضائية الأجنبية بالنسبة للوطن العربي تقدرَ بـ(2إلى 4 ساعات) يومياً، حيث تمثَل هذه النسبة عند الذكور بـ43.4%، و36.88%عند الإناث، و39.2% في المدينة، و57.15% في الريف"[34]، كما يظهر حجم دور تأثير القنوات الإخبارية على تشكيل دور الرأي العام الأمريكي، كما "يعتقد أقل من ثلث الأمريكيين في الاستطلاع الذي أجراه مركز "بروكينغز" ومعهد الأبحاث الدينية العامة الذي نشر في 7-9-2011،- الذين يعتبرون قناة (سي إن إن-CNN) قناتهم الموثوقة أو التلفزيون الوطني- في أنَ المسلمين في أمريكا يحاولون تطبيق الشريعة الإسلامية، غير أنَ 95% من الأمريكيين قالوا إنَ الكتب السماوية يجب أن تحترم، وأشار 88% إلى أنَ أمريكا تأسست على فكرة الحرية الدينية للجميع، ومن بينها المجموعات الدينية غير الشعبية، بينما قال ثلثا

المستطلعين إنَه يجب أن يكون هناك فصل صارم بين الدين والدولة.وفي مقابلة أجرتها وكالة"أسوشيتدبرس" للأنباء مع رئيس وزراء بريطانيا الأسبق "توني بلير" قبيل احتفال أمريكا بالذكرى العاشرة لاعتداءات الحادي عشر11من سبتمبر 2001، حيث قال: "إنَ الحملة الدولية لاحتواء خطر التطرَف الإسلامي أبعد ما تكون عن نهايتها"، وأضاف أنَه "لا ينبغي أن يساورنا أدنى شك في هذا الخصوص نهائياً، إنَه لمن سوء الطالع أنَ هذه الأيديولوجية -التطرَف- أوسع من أساليب تنظيم القاعدة"؛ وكانت الشرطة الفرنسية قد أغلقت صفحة إلكترونية على صفحة التواصل الاجتماعي دعا فيها أصحابها للتضحية بالمسلمين بدلاً من الأضاحي في عيد الأضحى"[35].

وقد أصبح الإعلام الدولي الموجَه تستعمله بعض الدول المتقدَمة في سياستها الخارجية خاصة في فترة الأزمات التي تعد بؤر التوتر، حيث أصبح هذا النوع من الإعلام له تأثيراً ملحوظاً في كسب التأييد الشعبي لسياسة معيَنة، ووفق أهداف استراتيجية مسطَرة، ومن هنا بدأ "استغلال قوة هذا النوع من الإعلام إلى جانب القوة العسكرية، وهذا المزيج واضح في تقديم الحرب العسكرية بشكل تلفزيوني مثير أو ما أصطلح عليه بـ(Militairement)"، ولعلَ هذا الطرح يظهر جليًا فيما أطلق عليه "بمبادرة الشرق الأوسط الكبير والدبلوماسية الشعبية التي تتمثَل في دعم مؤسسات الفكر والرأي، والتي نجد منها تلك الفضائيات الغربية الموجَهة للعالم العربي بلغته، ودعم الجامعات ومراكز البحوث، ودعم المواهب العربية المؤمنة بهذا الفكر، ودعم فكرة تغيير الدساتير في العالم العربي وتحويلها لحكومات ليبرالية يتم فيها بفصل السلطات الثلاث، وتفعيل الديمقراطية الليبرالية بكافة صورها"[36].

كما يعتمد الإعلام الدولي الموجَه على "فكرة الصراع والرغبة في السيطرة"، ولا يمكن تأدية هذا النمط من العمل الإعلامي إلاَ في حدود بعض الأسس التي يجب مراعاتها، حيث تتمثَل هذه الأسس بداية من "تحديد الجمهور المستهدف بدقة وعناية، ثمَ تحديد اللغة والمستوى اللغوي المناسب له، وكذا تحديد ساعات الإرسال وفقاً لعاداته وأنماط استماعه ومشاهدته، بالإضافة إلى اختيار القائم بالاتصال المدرَب الواعي، وتحديد المضمون الإعلامي الجذاب"[37].فالملاحظ في هذه القنوات أنَها ظهرت تقريباً في نفس الفترة، كما أنَها اعتمدت بشكل متشابه على الاستراتيجيات الإعلامية نفسها، وذلك من خلال الانتشار وكذا اعتمادها على اللَغات الثلاث (العربية، الفرنسية، والانجليزية)، أمَا من ناحية المضمون فيتساءل في هذا الإطار "محمد رؤوف يعيش" عن دور الفضائيات

الدولية الناطقة بالعربية[38]، حيث ينوه الباحث هنا إلى التنامي والازدياد الملحوظ لمثل هذه القنوات الموجَهة للمشاهد العربي، حيث يغلب عليها الطابع الرسمي كونها ممولة من طرف الدولة والحكومات أو تابعة لوزارة خارجيتها، وعادة ما تكون غير ربحية، ولعلَ هذه القنوات ارتبطت بأحداث وظروف في المنطقة العربية جعلت منها تظهر بصورة الواحدة تلو الأخرى، خاصة مع ظهور أحداث سبتمبر 2001، مروراً بأحداث حرب العراق وبعدها أحداث أخرى، وصولاً إلى الثورات العربية الأخيرة.

ويوضح لنا "هادي نعمان الهيتي" في حديثه عن الاتصال التلفزيوني الفضائي الدولي وتأثيراته على الوطن العربي، كيف "أنَ القنوات الفضائية تبرز سيادة الروح الديمقراطية في المجالات السياسية بوجه خاص، وهذه الجوانب غير مألوفة لدى المواطن العربي، إلاَ في حدود، لذا فإنَ التعرض لتلك القنوات يخلق صورًا وانطباعات جديدة حول أنظمة الحكم العربية...، ويضيف أيضاً كيف يتضح للمواطن العربي أنَ الوطن العربي ليس صانعًا للأحداث الحاسمة إلاَ بحدود قليلة ومحدودة، كما أنَ الوطن العربي يظهر في الغالب، في أعمال التخريب والإرهاب والحروب والمصادمات وغيرها، مما يقع ضمن ما يسمى بـ"الأخبار المبقعة"، ويغيب العرب عن أخبار التقدم العلمي الذي يحياه العصر، وعن أخبار الانجازات الفطرية والسياسية..."[39].

ويقول المنصف ونَاس " ... إنَ هذه الفضائيات حريصة على تملك عقل الإنسان وذائقته، بغض النظر إن كان الأسلوب إقناعًا أو إكراهًا، وهي تستند في ذلك إلى أرقى الوسائل التكنولوجية وأدقها من أجل الوصول إلى العقول والنفوس والهيمنة سياسيًا وثقافيًا والترويج لمنتجات السوق الأوروبية والأمريكية..."، ويضيف الباحث قائلاً: "إنَ القنوات الأجنبية هي عنوان من عناوين العولمة في شكلها الجديد ودليل الهيمنة القوية وحجَة المصالح الاستراتيجية المتعاضمة"[40].

ويعتبر البعض على أنَ القنوات الفضائية الأجنبية تقوم بـ"الاختراق الثقافي"[41] للأمة العربية، وفي ذلك الإطار أختلف الباحثون العرب في رؤيتهم لهذا المفهوم، حيث انقسمت مواقفهم إلى فريق رافض لثقافة الغرب وقيمها، والذي يعتبر الثقافة الغربية ثقافة مادية وغازية، وفريق متقبل لثقافة الغرب بشكل عام،والذي يعتبر الثقافة الغربية الطريق الوحيد إلى بوابة الحداثة، وفريق ثالث انتقائي، يرى بضرورة الأخذ عن الغرب دون السقوط في الاغتراب الثقافي.

وانطلاقاً من هذه المواصفات يشير "علي جبار الشمري" في دراسته على قناة الحرَة الأمريكية إلى بعض التقنيات الإقناعية في الخطاب التلفزيوني الموجَه إلى المشاهد العربي عبر هذه القناة، حيث وصفها بأنَها "تعمل على إيجاد نموذج حضاري جديد يهدف إلى محو الهويات الوطنية، وإلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي للشعوب، وذلك قصد بسط هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية وسيطرتها على العالم..."[42].

كما جاء على لسان وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة "مادلين أولرايت" في سياق تبريرها لضربات الصواريخ على العراق في عهد الرئيس "كليتنون" حيث قالت بالحرف الواحد: "إذا كان علينا أن نستخدم القوة، فإنَ ذلك لأنَنا أمريكا، نحن الأمة التي لا غنى عنها، ونحن ننتصب بقامة عالية، ونرى أبعد من غيرنا أفاق المستقبل"[43]، وعلى هذا الأساس يشار إلى "أنَّ القنوات الفضائية الناطقة بالعربية (قناة الحرَة على وجه الخصوص) وجدت من أجل خلق صورة جميلة لأمريكيا في الوطن العربي"[44]، ولعلَ هذا ما ينطبق على دور القنوات الفضائية الدولية الناطقة بالعربية الأخرى. ومن هنا تبدو أهداف تلك القنوات الفضائية مسطَرة، كما أنَها لا يمكنها خدمة المصلحة العامة إلاَ في إطار مصلحتها الخاصة، خاصة وأنَ تكاليف البث في مستوى هذه القنوات يكلَف الكثير، وعلى هذا الأساس "سُئِل أحد كبار السياسيين الغربيين قبل أكثر من خمسين عاماً عن الغرض من إطلاق وسائل إعلام غربية موجَهة إلى العالم العربي، فقال بالحرف الواحد "to becounter- revolutionary "-كي تحبط ظهور أي ثورات داخلية ضدَ الأنظمة العربية القائمة،فوسائل الإعلام الغربية التي استهدفت المنطقة العربية منذ الثلث الأول من القرن الماضي وحتَى الآن كان هدفها الأول الحفاظ على الأنظمة وتجميلها وتكريس الأوضاع العربية المتردَية، أي تلك التي تمخضت عن الرسم الاستعماري للوطن العربي وخاصة "اتفاقية سايكس بيكو"، وذلك عن طريق ترويض الشعب العربي بالأساليب الخطيرة التي أبتكرها الإعلام الغربي للتحكم بالأمم والمجتمعات. ولقد كانت تلك الأجهزة ومازالت أكبر داعم لأنظمتنا حتَى الآن، ولعلَ الإذاعات وحتَى التلفزيونات الغربية الموجَهة إلى العرب فقدت شعبيتها إلى حدَ كبير منذ ظهور وسائل إعلام عربية جريئة سحبت البساط تماماً من تحت أقدام أعرق وأشهر الإذاعات الغربية".[45]

إذن فعالمية هذه القنوات هي التي جعلتها تغطي أهم الأحداث في شتى بقاع العالم، لذا تملك جمهوراً عريضًا ممَا يؤهلها في احتلال المراتب الأولى من ناحية المشاهدة والمتابعة، وبناءً على هذا المعطى يمكن لها أن توجه الرأي العام في المنحى الذي تريد وبالقدر الذي

تريد، ولعلَ منطق الأزمة هنا له دوره في توجيه التغطية من خلال هذه القنوات الأجنبية، خاصة وأنَ ما يحدث اليوم يتعلق بأحداث وقضايا عربية إسلامية والتي تعتبر كمنطقة مستهدفة ضمن استراتيجيات سياسية يكون فيها الإعلام هو الآلة الأول لخدمتها من خلال هذه القنوات.

خاتمة:

وفي الأخير وبناءً على تلك المعطيات يبدو واضحًا دور وسائل الإعلام الغربية مهما أختلف نوعها أو شكلها في معالجتها لأهم القضايا والأحداث العربية الإسلامية خاصة في فترات الأزمة التي تعتبر المرحلة الأساسية للمؤسسات الإعلامية في تنفيذ مخططاتها واستراتيجياتها، ممَا يجعلنا نولي اهتماما بمجال الصورة للإسلام والمسلمين التي أصبحت اهتمام الكثير من وسائل الإعلام الغربية،ولعلَ هذا الطرح والتوجَه يشير إلى علاقة السياسة بالإعلام في خدمة أجندتها، وهنا تتضح مسألة صناعة الصورة وبناءها ودورها في تكوين وتشكيل الرأي العام، وهذا من أجل خدمة بعض المصالح والأهداف المسطَرة، ولا يمكننا كدارسين في هذا الحقل النفي بالصورة السلبية المشوَهة التي يقدَمها الإعلامي الغربي بحجة أن هذه الصورة لها مرجعيتها التاريخية الراسخة في المخيَلة الغربية، وكذا المرجعية الواقعية التي تتأسس من مجموع تصرفات المسلمين وممارساتهم الدينية المنافية والتي لا تمت بصلة للإسلام وشريعته، كما لا يمكننا في هذا الإطار أن نثبت تلك الصورة بدليل أنَ هناك الكثير من المثَقفين الغرب مدحوا الإسلام وأهله، بالإضافة إلى دور بعض المؤسسات الإعلامية التي تسعى في سياستها إلى نشر القيم الإنسانية والأخلاقية، وتبني مبدأ الحيادية بشمل نسبي، ودخولها عالم الاحترافية المهنية التي تحترم أخلاقيات الإعلام مع تجاوزها عقدة الآخر التي كانت تسيَر العقل الغربي لعقود من الزمن.

الهوامش والمراجع:

1. – أنظر: مصدر من موقع الانترنتhttp://www.bbc.com/news/world، تمّ تصفح الموقع يوم: 29-05-2011 على الساعة 09:00.
2. أحمد خفاجي، **حول فاعلية الإسلام**، مجلة التواصل، العدد الرابع، طرابلس، صادرة عن كلية الدعوة الإسلامية، 1372هـ، 2004م، ص28.
3. – نقلا عن: عبد القادر طاش، **صورة الإسلام في الإعلام الغربي**، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ط2، 1993م، ص76.
4. –**المرجع نفسه**، ص ص76-77.
5. – نقلا عن: خليل ياسين خليل، **نحن في عيون باريس**، جريدة عكاظ، العدد 7071، جدة، صدرت بتاريخ: 22/10/ 1985.
6. – أديب خضور،**صورة العرب في الإعلام العربي**،**الصورة الذهنية التي رسمها الإعلام الغربي عن العرب والمسلمين**،**عوامل تكوين وسائل الترويج**،دمشق،المكتبة الإعلامية،2002م،ص55.
7. – جوكينشلو، شيرلي شتاينبرغ، **التربية الخاطئة للغرب: كيف يشوّه الإعلام الغربي صورة الإسلام**، ترجمة حسان سبتاني، بيروت، دار الساقي، ط1، 2005م، ص37.
8. – **المرجع نفسه**، ص188.
9. –**المرجع نفسه**، ص255.
10. – مادلين نصر، صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية، نقلا عن: الطاهر لبيب، **صورة الآخر العربي: ناظرًا ومنظورًا إليه**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2008م، ص464.
11. –أنظر: عزت عزت، **صورة العرب والمسلمين في العالم**، القاهرة، مركز الحضارة العربية، ط2، 2002م، ص ص53-70.
12. –**المرجع نفسه**، صص27-44.
13. – ليلى صالح زعزوع، **المد الشيعي نحو الإسلام**، مجلة التواصل، العدد الرابع، طرابلس، صادرة عن كلية الدعوة الإسلامية،1372هـ، 2004م، ص31.
14. – **المرجع نفسه**، ص31.
15. – **المرجع نفسه**، ص32.
16. – عبد القادر طاش، **مرجع سابق**، ص ص91-92.
17. - Pierre Albert , **La Presse Française**,(Notes et études documentaires), La documentation Française, Paris, N°4469- Mai 1978 .p134

18. – رابح الصادق، **الإسلام في فرنسا من الغياب إلى الظهور الهوياتي**، مجلة المستقبل العربي، العدد226/215، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ص55.

19. – نقلا عن: هربرتشيللر، **المتلاعبون بالعقول**، ترجمة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999م، ص17.

20. – أنظر: سامي مسلّم، **صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية**، سلسلة أطروحات الدكتوراه(8)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1986م، ص ص32-38، ص ص183-196.

21. – أنظر: ميخائيل سليمان، **صورة العرب في عقول الأمريكيين**، ترجمة عطا عبد الوهاب، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1987م، ص ص29-82.

22. – أنظر: حلمي خضر ساري، **صورة العرب في الصحافة البريطانية: دراسة اجتماعية للثبات والتغيّر في مجمل الصورة**، ترجمة عطا عبد الوهاب، سلسلة أطروحات الدكتوراه (11)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1988م، ص ص191-283.

23. – نقلا عن: عائشة كعباش، **صورة الإسلام في الصحافة الفرنسية ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر"LEMONDE ET LE FIGARO** "،رسالة ماجيستر، قسم الدعوة والإعلام، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر. 2005-2006.، ص22.

24. – نقلا عن: جاك شاهين، مقال بعنوان *__الشخصية العربية في التلفزيون الأمريكي__**، مجلة العربي، العدد 340، الكويت،1987م.

25. – نقلا عن: سعيد شحاتة،**الإسلاموفوبيا في بريطانيا**، مجلة التواصل، العدد الرابع، طرابلس، صادرة عن كلية الدعوة الإسلامية، 1372هـ ، 2004م ، ص40.

26. -**المرجع نفسه**، ص40.

27. -جاك شاهين،**كيف تحط هوليوود من قدر الشعوب: العرب الاشرار**،، نقلا عن: الجزيرة الوثائقية، حصة تلفزيونية، الموقع الالكتروني: www.dvd4arab.com ، تمّ تصفح الموقع يوم 2013/01/12 .

28. – أنظر:عزت عزت، **مرجع سابق**، ص186.

29. – نقلا عن: المحجوب بن سعيد، **الإسلام والإعلاموفوبيا، (الإعلام الغربي والإسلام: تشويه وتخويف)**، دمشق، دار الفكر، برامكة، ط1، 1431هـ-2010م ، صص123-125.

30. – عبد الوهاب الرامي، **السلطة الجيو تلفزيونية وحوار الحضارات**، مجلة الإذاعات العربية، العدد 4، تونس، تصدر عن اتحاد إذاعات الدول العربية، 2002م، صص11-13.

31. – **المرجع نفسه**، ص14.

32. – إلياس ادريس، **صورة العربي في الأجهزة السمعية البصرية في فرنسا**، مجلة الوحدة، العدد 66، الرباط، المجلس القومي للثقافة العربية، 1999م، ص205.

33. – عبدالقادر طاش،**مرجع سابق**، ص103.

34. – عيس الشمَاس، تأثير الفضائيات التلفزيونية الأجنبية في الشباب: دراسة ميدانية على كلية التربية بجامعة دمشق، مجلة جامعة دمشق، المجلد 21، العدد 02، 2005م، ص37.

35. – نقلا عن: نجيباليافعي،**نمو الإسلاموفوبيا في الذكرى العاشرة لأحداث سبتمبر**، محور الإسلام والغرب، أنظر: الموقع الالكتروني:إسلام اون لاينwww.Islameoline.co. ، تمّ تصفح الموقع يوم 2012/11/10، على الساعة 16:00 مساءا.

36. – نهى عاطف العبد، **دراسات في الإعلام الفضائي في ضوء النظريات المعاصرة**، القاهرة، دار الفكر العربي، 2001م، ص561.

37. –المرجع نفسه، ص561.

38. – محمد رؤوف يعيش، **الفضائيات الدولية الناطقة بالعربية: جسور للتواصل أم ترويج لثقافة أجنبية**، مجلة الإذاعات العربية، العدد2، تونس، تصدر عن اتحاد إذاعات الدول العربية، 2010م، ص7.

39. – هادي نعمان الهيتي، الاتصال التلفزيوني الفضائي الدولي الوافد واحتمالات تأثيره السياسي في الوطن العربي، نقلا عن: عبد الرحمن عزي وآخرون، **العرب والإعلام الفضائي**، سلسلة كتب المستقبل العربي(34)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2004م، ص ص69-73.

40. – المنصف ونَاس، **الفضائيات الأجنبية الموجَهة إلى المنطقة العربية: قراءة داخلية**، مجلة الإذاعات العربية، العدد2، تونس، تصدر عن اتحاد إذاعات الدول العربية، 2010م، صص14-15.

41. – نهى عاطف العبد، **مرجع سابق**، ص562.

42. – علي جبار الشمري، **الخطاب التلفزيوني الأمريكي الموجَه إلى المشاهد العربي**، مجلة الإذاعات العربية، العدد 2، تونس، تصدر عن اتحاد إذاعات الدول العربية، 2010م، ص37.

43. – عبد الرحمن عزيوآخرون،، **مرجع سابق**، ص98.

44. – **المرجعنفسه**، ص98.

45. – فيصل القاسم،**لماذا فَشلت الفضائياتُ الأجنبيةُ الناطقة بالعربية؟**، نقلا عن: http://www.doualia.com في يوم 2009/12/23، على الساعة 17:00 .